

الفصل الرابع

* الحياة السياسية

- ١ - المناوشات والمعارك
- ٢ - الرحيل
- ٣ - بعد الرحيل

الفصل الرابع

الحياة السياسية

١- المناوشات والمعارك:

يروى اهل القرية ان قرية "زرعين" تختلف عن باقي القرى بقوة التكاتف والتعاقد بين اهل القرية، ويختلفون عن غيرهم ايضا في عدم موالاتهم لاي من الاحزاب او الاشخاص مثل الحسيني، النشاشيبي * . كان اهتمامهم فقط ينحصر في زراعة ارضهم، ويؤكد احد اهالي القرية انهم كانوا يوالون الحاج امين الحسيني كرجل دين فقط وليس كرجل سياسة او حزب "كان هو ابو العرب". واجمع سكان القرية انه لم يكن بينهم قيس او يمن اطلاقاً، ويؤكدون ان ذلك كان في منطقة الخليل فقط، وقال احدهم:

"لم نكن ننتمي لاي حزب من الاحزاب، ولم نكن نثق بالحاج امين الحسيني لاعتقادنا بانه غير جاد ويضحك على الجميع"، كانت المشاكل داخلية فقط بين حمولة الحاج ابراهيم وحمولة الشلبي واغلب نزاعاتهم كانت بسبب "المخترة" (١).

ومع تأكيد اهالي القرية ان اجدادهم لم ينشغلوا بالسياسة الا ان القرية كانت تقود جميع القرى المجاورة في اي امر من الامور التي لها صلة بالنواحي السياسية لكثرة عدد سكانها بالنسبة للقرى الاخرى واتساعها وموقعها الاستراتيجي (٢).

* على الصعيد السياسي كان للجماعتين اتباع في الشارع الفلسطيني "المجلسيين التابعين لال الحسيني" و"المعارضين" التابعين لال النشاشيبي، كانت كل من المجموعتين تعتمد في تنظيمها على زعماء الحارات وعلى التجار. اما بين الجماهير فلم يكن يوجد اي تنظيم حقيقي، ولا حتى بدايات لمثل هذا التنظيم، كان للمجلسيين تأثير اقوى من تأثير حزب ال النشاشيبي بسبب العامل الديني. وكانت جماعة الحسيني تنظم الناس عادة بان تقول لهم ان الذين باعوا ارضهم قد باعوا دينهم، او ان اليهود كفار، وكان القرويون يستجيبون لمثل هذه الشعارات اكثر مما يستجيب اهل المدن، كما ان الفلاحين هم الذين كانوا يقاتلون (صايغ، روز ماري، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع الى الثورة).

امتدت المناوشات والمصادمات بين اهل القرية من جهة واليهود والانجليز من جهة اخرى منذ العام ١٩٣٦ وحتى العام ١٩٤٨ ولكن لم يصل الى القرية اي تنظيم سياسي حقيقي حتى السنة الاخيرة (قبل النكبة). وقد حاولوا انشاء لجان شعبية وميليشيات في القرية ولكن لم يكن يوجد اي حزب في القرية وكذلك في القرى الاخرى، كان ثمة بعض النشاطات السياسية بين العاميين ١٩٤٥ - ١٩٤٦، وفي هذه الاثناء كانت جماعة النشاشيبي تقوي علاقاتها مع الامير عبدالله امير الاردن، وكانت المدن التي تدعمهم هي القدس ونابلس، وكان المالكون للاراضي في زرعين من آل عبدالهادي يؤيدون آل النشاشيبي. وابناء القرية كانوا يتبعون آل عبدالهادي بحكم العلاقة الاقتصادية التي تربط ما بينهما (٣).

والاحاديث والمقابلات التي دارت ما بيني وبين افراد من ابناء القرية، كانت تدل دلالة واضحة على ان غياب القادة في داخل القرية ونقص الاسلحة والفوضى والخوف، هذه العوامل ادت الى الرحيل من القرية في عام ١٩٤٨، وكانت في القرية لجنة دفاع مكونة من عدة اشخاص من فلاحي القرية، تمتلك عدداً قليلاً من الاسلحة، وكانت القرية تعاني من قلة الامدادات والمعلومات والتعليمات. ورغم ذلك، فقد حدثت عدة مصادمات ومناوشات ومعارك بسيطة بين فلاحي القرية واليهود والمستوطنين.

ويقول احد ابناء القرية ان يهود المستوطنات المجاورة كانوا يريدون العيش بسلام مع اهل القرية وانهم كثيراً ما كانوا يرسلون ممثلين عنهم لمقابلة مخاتير القرية ويطلبون منهم عدم التحرش باليهود لا من بعيد او قريب. ولكن لم يستجب اهل القرية لنداء يهود المستوطنات المجاورة واستمرت المناوشات بينهم وبين الانجليز واليهود حتى تأججت وبلغت ذروتها عندما سمع أهالي زرعين بالقتال الدائر ما بين أهالي قرية سلمة ويهود مستوطنة هتكفا المجاورة للقرية. وعندما سمعوا ايضاً عن استبسال اهل سلمة في الدفاع عن قريتهم.

وشعر اهالي قرية "زرعين" بالخوف الشديد عندما سمعوا ان اليهود اقتحموا قرية "سلمة" وقتلوا شباب القرية كما اجبروا النساء على الركوب في سيارات شحن وهن "عراة"، واخذت هذه السيارات المكشوفة تجوب البلاد لنشر الرعب بين العرب من ناحية ورفع معنويات اليهود من ناحية اخرى.

اعتري اهالي زرعين الخوف بعد مجزرة دير ياسين، وهذه المجزرة التي وقعت في ٨ نيسان والتي قتل فيها ما لا يقل عن ٣٠٠ قروي قد حازت على قسط كبير من الاهتمام الى حد انها بدت وكأنها فظاعة معزولة لا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسلوك الصهاينة العام في الحرب، وبالإضافة الى هذه المجزرة وقعت حوادث قتل جماعي اخرى نفذتها وحدات عادية من الهاغاناة. كما حصل في قرية ناصر الدين الواقعة قرب طبريا وفي عين الزيتونة والبعنة والبصة والصفصاف، لم تكن مجزرة دير ياسين فظاعة معزولة يصعب تفسيرها وقعت في حربٍ دفاعية تستهدف رد الفرد العربي، كما زعمت الدعاية الصهيونية، بل كانت جزءاً من حملة منظمة تستهدف ارباب الفلاحين الفلسطينيين، وارجامهم على ايقاف مقاومتهم للصهاينة (٤).

ويتحدث ابناء القرية عن القتال الذي كان دائراً بين اليهود وعرب حيفا، وهي المدينة التي كانت تجمع الكثير من العرب واليهود

"لم يكن العرب يملكون السلاح، وكانت جماعة من اليهود ترصد العمال العرب اثناء توجههم الى عملهم في الميناء ومحطة القطار وتقوم بقتلهم" (٥).

تمكن اهالي القرية من تسليح انفسهم بواسطة شراء الاسلحة من سوريا ومصر ويروي احدهم:

"تمكنا من احضار مئة وعشرين بارودة عن طريق الشام، ووزعت على ابناء القرية الذين استطاعوا دفع ثمنها لها، "كنا نملك ثمن بارودة المانية وانكر ان ثمن المشط دينار ونصف، وكانت تباع الخمس طلقات بدينار ونصف ايضا" (٦).

اول معركة خاضها ابناء القرية وقعت في قرية نورس المجاورة لزرعين، وتلك القرية واقعة على قمة جبل وابناؤها كانوا عمالاً في الكسارات الموجودة في الجبل، قام يهود مستوطنة الجالود بمهاجمة قرية نورس وضرب العمال الذين كانوا يشتغلون في الكسارات، فوقع قتال ما بين اليهود وابناء نورس وابناء زرعين الذين هبوا لمساعدة ودعم قرية نورس والمتطوعين من الجنود العرب السوريين المتواجدين فيها وكان عددهم يبلغ ٦٥ متطوعاً. لم يستشهد احد من ابناء قرية زرعين، وبعد تلك المعركة انتقل الجنود السوريون الى زرعين لانها اكبر من قرية نورس ولتعهد اهلها بمساعدة الجنود للدفاع عن القرية.

اشترك ابناء زرعين في معركة اخرى بالتعاون مع جيش الانقاذ على طريق العفولة - بيسان، وكان نتيجة تلك المعركة ان دمرت خمسة باصات لليهود. بعد عدة ايام واثرت تلك المعركة قام اليهود بشن هجوم قوي وشديد على القرية من جنوبها، وهذه المعركة كانت الحاسمة التي اجبرت اهل زرعين على الرحيل. وعن تفاصيل هذه المعركة يروي احد ابناء القرية:

"قدمت مجموعة من اليهود للاعتداء على القرية والثأر من اهاليها، وكانت هذه المجموعة تضم اعداداً كبيرة من المقاتلين الذين دخلوا من جنوب القرية بصورة مفاجئة، وكانوا يهتفون "كادىما كادىما دير ياسين"، واعتقد سكان القرية ان اليهود ارادوا ارتكاب المذابح وتطبيق ما فعلوه في دير ياسين" (٧).

وتضيف احدى نساء القرية:

"بدأت المعركة وكانت ترابط قوة من الجيش العربي في القرية بقيادة قائد يدعى "سعدون" وفي هذه المعركة استشهد زوجي السابق "محمد المطاحن الحسن" (٨).

ويذكر اهل القرية حادثة وقعت داخل القرية ويروونها:

"حدث ان هاجم شباب القرية سيارة كابينية لشخص يهودي وبجانبه زوجته، وفي داخل السيارة كان يوجد عدد كبير من "الصيغان" وقتل سائقها اليهودي، واصيبت زوجته بيدها اليمنى ثم نقلوها الى جنين، في تلك الليلة (وكما يقول ابناء القرية) بدأ اليهود يحشدون الى زرعين، وبعد ثلاثة ايام يتذكر احدهم "عندما استيقظت من نومي صباحاً وجدت نفسي محمولا بين يدي جدي، ونظرت فاذا النساء والاولاد يجلسون في المغارة التي تقع شمال شرق القرية، كما سمعت صوت الرصاص يُدوى في كل مكان، اما الشيوخ فقد كانوا يرفعون بايديهم الى السماء طالبين من الله العلي القدير الرحمة، واذكر ان المعركة استمرت طوال الليل حتى طلوع النهار" (٩).